

الحلقة (٣٠)

ومعنا في هذه الحلقة حديثان كلاهما في ((سجود السهو))

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "صلى النبي صلى الله عليه وسلم إحدى صلاتي العشي ركعتين ثم سلم، ثم قام إلى خشبة في مقدم المسجد فوضع يده عليها، وفي القوم أبو بكر وعمر فهابا أن يُكلماهُ، وخرج سَرَعَانُ الناس، فقالوا: أَقْصُرْتَ الصلاة، ورجُل يدعوه النبي صلى الله عليه وسلم "ذا اليمين" فقال يا رسول الله: أنسيت أم قُصِرْتَ الصلاة؟! فقال: (لم أنس ولم تُقصِر) قال: بلى قد نسيت، فصلى ركعتين ثم سلم، ثم كَبَّرَ، فسجد مثل سجوده أو أطول، ثم رفع رأسه فكَبَّرَ، ثم وضع رأسه فكبر فسجد مثل سجوده أو أطول، ثم رفع رأسه وكَبَّرَ متفق عليه، واللفظ للبخاري، وفي رواية لمسلم: "صلاة العصر" ولأبي داود فقال: "(أصدق ذو اليمين؟) فأومؤوا: أي نعم" وهي في الصحيحين، لكن بلفظ: "فقالوا" وفي رواية له: "ولم يسجد حتى يَقْنَهُ الله تعالى ذلك".

الحديث كما نرى برواياته في الصحيحين أو في أحدهما، فلسنا بحاجة إلى بيان درجته.

نأتي لبيان بعض الألفاظ الواردة في هذا الحديث

اللفظ الأول كلمة العِشِيِّ: بفتح العين المهملة وكسر الشين المُعْجِمة وتشديد المثناة التحتية: قال الأزهري: هي ما بين زوال الشمس وغروبها.

وزوال الشمس: هو تحرك الشمس من وسط السماء، هذا هو ابتداء الزوال، فمن هذا أي من منتصف النهار إلى آخره، هذا المراد بالعِشِيِّ.

فقول الأزهري: هي ما بين زوال الشمس وغروبها، أي من منتصف النهار من زوال الشمس بعد منتصف النهار إلى غروبها. وقال الراغب: العِشِيُّ من زوال الشمس إلى الصباح، أي إلى صباح اليوم التالي.

والصلاة التي وقع فيها السهو قيل الظهر وقيل العصر، ولكن جاء في الصحيحين أنها الظهر من غير شك. أيضاً من الألفاظ الواردة كلمة "هابا أن يُكلماهُ"، هي من الهيبة والإجلال، أي أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما أَجَلًا النبي صلى الله عليه وسلم وعظَّمَاهُ، فهاباه أي أَجَلَاهُ وعظَّمَاهُ.

"سَرَعَانُ الناس": هي بفتح السين المهملة وفتح الراء سَرَعَان: وهم أوائل الناس المسرعون إلى الخروج.

"قُصِرْتَ الصلاة" رُوِيَ بهذا اللفظ بضم القاف، أن يكون مبنياً للمجهول، ورويت بفتحها "قُصِرْتَ" مبنياً للمعلوم، وصَحَّ هذا وهذا.

أما ذو اليمين: كان يُقال له ذو اليمين وهذا ليس اسماً له اسمه: الحِرياق ابن عُمرو، وأما تلقيبه بذو اليمين: لطول كان في يديه فَلَقَّبَ بذلك.

ونأخذ من هذا: أن الإنسان إذا كانت فيه شيء من هذه فذكر بها للتعريف لا على الاحتقار والانتقاص وهو لا يكره ذلك فلا حرج في ذلك، فيقال هذا وليس من الغيبة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الغيبة ذكرُك أخاك بما يكره" فإذا كان لا يكرهها، أو كانت للتبيين لا يُعرف إلا بهذا وليست على سبيل الانتقاص والاحتقار فلا مانع من ذلك، وهذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم في هذا، وكان يُلقبه بذو اليمين، وكان يقولون له ذو اليمين، والنبي صلى الله عليه وسلم صرح بهذا: "أصدق ذو اليمين" فهذا ليس من الغيبة أو مما لا يجوز فعله، فهذا جائز كما تقدم.

في قوله "أنسيت أم قُصِرْتَ الصلاة" أو "قُصِرْتَ الصلاة" على اللفظين كما تقدم: الرجل لما سأل يعرف أن الصلاة كانت عدد

معيناً، سواء كان صلاة العصر أو الظهر أربع ركعات، فهو يعرف ذلك، فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم ركعتين، هُنا تعجب "أنسيت" هذا حال يقع لكل أحد، "أم قُصرت الصلاة" أم قُصرت الصلاة" فهذا معنى ذلك أن الاستفهام على بابه، والزمن لا يزال زمن نسخ، في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال زمن نسخ، فقد يكون تغير الحال وهم لا يدرون، قد يكون الله سبحانه وتعالى خفف من الأربع إلى اثنتين، وهي كانت على هذا أول الأمر، أول ما فرضت الصلاة الرباعية كانت ركعتين فأُقرت في السفر وزيد في صلاة الحضر.

فالسائل لما سأل أي الرجل ذو اليدين لما سأل سؤاله على بابه، لا يستنكر منه أن يقال أم قصرت الصلاة، أمّا بعد زمن النبي صلى الله عليه وسلم، **هل أن نسأل هذا السؤال؟**

لا، لأن النسخ انتهى، واستقرت الأحكام على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، أو ما مات النبي صلى الله عليه وسلم وهي عليه، فتبقى على هذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

قول النبي صلى الله عليه وسلم "لم أنس ولم تُقصر": فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا على ما يظنه، وكان النبي صلى الله عليه وسلم مُعتقداً أنه أتم صلاته، فإذا لم ينس ولم تقصر الصلاة هذا على ظن النبي صلى الله عليه وسلم، لم تقصر حتماً مفروغ منها، لكن قوله صلى الله عليه وسلم: "لم أنس" هذا على ظنه صلى الله عليه وسلم، فهذا أيضاً يعطينا أن الإنسان لو قال مثل هذا على ما يظنه لا يكون بذلك كاذباً.

أيضاً من الألفاظ الواردة: "ولم يسجد حتى يَقْنَهُ الله" بتشديد القاف، يعني حتى عِلِمَ عن سهوه علم اليقين بالتحقيق وإخبار الثقة، النبي صلى الله عليه وسلم ما سجد مباشرة لما قال له ذو اليدين، بل توثق النبي صلى الله عليه وسلم من غيره، فسأل أصحابه فقال: "أصدق ذو اليدين" فأومؤوا، هذا في رواية، وفي رواية قالوا: "نعم"، والإيماء معناه: الإشارة، أي تكفي عن القول، أي: نعم، فالإشارة تفيد معنى اللفظ، وجاء في بعض الروايات أنهم تلفظوا قالوا: نعم، فالنبي صلى الله عليه وسلم ما سجد حتى تيقن من إخبار الثقات، يعني الثقات هم الذين أخبروه بذلك.

أما الأحكام المستنبطة فأول حكم معنا:

١- جواز السهو على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في أفعالهم البلاغية، التي يبلغونها، لأنهم بشر يجوز عليهم ما يجوز على غيرهم من البشر، إلا أنهم لا يُقَرُّون عليه.

أما الأقوال البلاغية فالسهو ممتنع على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالإجماع، وأما في الأفعال فهذا جارٍ، وهذا من تيسير الله سبحانه وتعالى للأمة.

لو لم يكن ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ثم حدث للناس بعده مثلما حدث له صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم مستند من قبل من فعل النبي صلى الله عليه وسلم أو قوله، **ما العمل؟**

يكون بهذا كأن التشريع ناقص، والله سبحانه وتعالى يقول: **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾** هذا من إتمام وإكمال هذا الدين أن يحدث مثل هذا ليُشرع للأمة، فكان هذا من التيسير والتشريع.

وهذا الفعل أو هذا ما حدث للنبي صلى الله عليه وسلم السهو كما قلنا هو رحمة لهذه الأمة، فكان هذا من الله سبحانه وتعالى أراد به أن يُشرع لعباده عن طريق سهو نبيه صلى الله عليه وسلم.

٢- **دل الحديث على** أن الخروج من الصلاة قبل إتمامها مع ظن أنها تمت لا يُبطلها، فيبني بعضها على بعضها، الخروج من الصلاة معتقداً تمامها، خرج من الصلاة قبل أن تتم الصلاة، سلم قبل أن تتم، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم، فدل

الحديث على أنه مثل هذا لا تبطل الصلاة به، حدث خروج من الصلاة وحدث كلام كذلك بعد السلام، النبي صلى الله عليه وسلم قال له ذو اليمين "أنسيّت أم قصّرت الصلاة" ورد عليه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه لم ينس ولم تقصر الصلاة، حصل كلام من ذي اليمين، وحصل كلام من النبي صلى الله عليه وسلم، ثم حصل كلام كذلك من النبي صلى الله عليه وسلم مرة ثانية عندما سأل أصحابه، وحصل منهم كلام أيضاً عندما على الرواية الأخرى أنهم قالوا: نعم، إذاً حدث هناك كلام، فهذا كله لا يُبطل الصلاة، ولذلك يبني بعضها على بعض.

فمثل هذه الحالة يقوم المصلي فيأتي بما بقي من صلاته، لا يصلي من جديد، فيكون إذاً هنا الحكم المستنبط أن الخروج من الصلاة ظاناً تمامها لا يبطل الصلاة ويبني بعضها على بعض.

٣- أن الحركة الكثيرة سهواً أو من غير قصد لا تُبطل الصلاة ولو كانت من غير جنس الصلاة، فهنا حدث من النبي صلى الله عليه وسلم حركة، قام بعد السلام، اتكأ على خشبة، ثم الناس خرجوا أو سرعان الناس خرجوا، ثم حدث هناك حركات، هذه الحركات ليست من الصلاة ولا في مصلحة الصلاة، فدل ذلك على أنها لا تُبطلها، لأن هذه إما أن تدخل في باب السهو، أو تكون مما عمل بغير قصد.

٤- وجوب سجدي السهو لمن سها وسلم عن نقص فيها ليجبر خلل الصلاة ويُرغم به الشيطان، فهنا وجوب سجدي السهو، كونها قبلية أو بعدية لعله يأتي له ما يبين ذلك، إنما وجوب سجدي السهو، هذا السجود يجبر هذا النقص، سواء كان زيادة أو نقص في الصلاة، فقد يحصل هناك نقص في الصلاة كالقيام من الركعة الثانية وترك التشهد الأول من غير قصد، وهذا سهو يجبره سجود السهو، لا يرجع إذا قام، يُكره له الرجوع، إذا بدأ وشرع في الركن في قراءة الفاتحة، لا يجوز له الرجوع فيستمر، ويجبر ذلك بسجدي السهو.

أو كان زيادة في الصلاة كما حدث للنبي صلى الله عليه وسلم، الآن النبي صلى الله عليه وسلم سلّم في وقت ليس هو محل التسليم هنا والخروج من الصلاة، هذا السلام زائد من النبي صلى الله عليه وسلم، إذاً هو زيادة في الصلاة، النبي صلى الله عليه وسلم عوض ذلك بسجدي السهو، فجبر ذلك الخلل في صلاته.

٥- أن سهو الإمام لاحقاً بالمؤمنين لتمام المتابعة والافتداء، ولأن ما طرأ من نقص على صلاة الإمام يلحق كذلك بالمؤمنين معه، فإذا الإمام إذا سها وجب عليه أن يسجد للسهو وكذلك يسجد معه المؤمنون.

السهو وقع من الإمام لكن المؤمن تابع لإمامه فيسجد كذلك بسجود إمامه، لعل الحكم كما قلنا كون السجود يكون قبل أو بعد نأتي إليه في حديث بعد هذا.

والحديث التالي:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا شك أحدكم في صلاته فلم يدر كم صلى أثلاثاً أم أربعاً؟ فليطرح الشك وليبن على ما استيقن، ثم يسجد سجدتين قبل أن يسلم، فإن كان صلى خمساً شفعن له صلاته، وإن كان صلى تماماً كانتا ترغيباً للشيطان) رواه مسلم.

هذا الحديث إذاً في الصحيح فلسنا بحاجة إلى بيان درجته.

أما الألفاظ الواردة في هذا النص:

قوله صلى الله عليه وسلم: "إذا شك" الشك لغة: مُطلق التردد، وهو عند الفقهاء: تردد الفعل بين الوقوع وعدمه، وأما عند الأصوليين معناه: استواء طرفي الشيء، هذا هو معنى الشك.

قول النبي صلى الله عليه وسلم "فليطرح" معناه: فليُلقِ ما شك فيه وليبعده عنه، وهذا الشك كونه يبعده أو يلقيه معنى

ذلك يأتي بما تيقن، على ما سيأتي بيانه وما جاء ظاهراً في هذا الحديث.

"ترغيماً للشيطان": أي إلصاقاً لأنفه في الرُغام وهو التراب، والمراد بذلك إذلاله، لأنه فعلاً ما يكون حقيقة أن الساجد هنا أخذ برأس الشيطان وأرغمه أي ألصقه بالتراب، وإنما المراد بذلك إذلال الشيطان، فإذا أذل الشيطان بمثل هذا، أو بمثل التعوذ فهو ينخس، وكأنه ألصق أنفه في التراب بسبب هذا الذكر أو بسبب هذا الفعل، الذكر في التعوذ، والفعل في السجود للسهو، فهو ترغيم للشيطان، أي: كأن الساجد عندما سجد هاتين السجديتين أراد أن يُغيظ الشيطان، فلعل السهو أن يكون حصل أو يحصل للإنسان أو الشك في صلاته سببه الشيطان وإشغال الشيطان للمصلي في صلاته، فيشغله عن صلاته، فيكون هذا السهو منه، فإذا بهذا الفعل أرغم الشيطان بسجوده للسهو.

قوله صلى الله عليه وسلم: "وليبني على ما استيقن" يعني يعتمد على ما تيقن أنه أتى به من الصلاة، وسيأتي معنا ما هو المتيقن، المتيقن هو: الأقل بلا شك، وسيأتي معنا في الأحكام ما يبين ذلك.

أما الأحكام الواردة في هذا الحديث:

١- تبين من هذا الحديث أن الشك في الصلاة هو أحد أسباب سجود السهو.

فيكون من أسباب سجود السهو على هذا:

١- زيادة في الصلاة، ٢- أو نقصان منها، ٣- أو شك فيها.

وهذا الحكم بالنسبة للشك إذا حدث للإنسان أحياناً، ليس من باب الوسواس، أما إذا كان وسواساً يُلازم الإنسان، وهذا يحدث للإنسان أنه يعمل العمل ويقول في نفسه لم أعمله، فهذا الأمر إذا كان من باب الوسواس فليطرح ذلك ولا يلتفت له وليتيقن ما بناه.

ولذلك العبد ينبغي له أن يقبل على صلاته بقلبه مع بدنه من أجل أن يحافظ عليها، وأن لا يدخل معه الشك في هذه، الذي هو شك الوسواس.

أما غير الوسواس فهذا حصل للصحابة رضوان الله عليهم الذي هو الشك في الصلاة، أما ما حدث للنبي صلى الله عليه وسلم فهو فعل، يعني النبي صلى الله عليه وسلم سَلَّمَ قبل تمام الصلاة، أما الصحابة ما ذُكر عنهم الوسواس في هذا والله أعلم.

٢- أن الشاك في صلاته إذا كان لا يدري هل ما صلاه مثلاً ركعتين أو ثلاثاً، أنه يطرح الشك ويبني على اليقين، واليقين هو الأقل كما تقدم ذكره.

وإذا شك هل صلى ركعتين أو ثلاثاً فليجزم بالاثنتين، لأن هذا مجال شك، فهذا هو اليقين أنه يبني على اليقين واليقين هو الأقل، فيعتبرها اثنتين ثم يُتم صلاته بناء على هذا، وقبل أن يُسَلِّم يسجد سجديتين للسهو، هذا إذا شك في صلاته ولم يتبين له.

٣- الحديث صريح في صحة الصلاة التي شك فيها صاحبها وهذا الشك لا يكون مما تبطل به الصلاة، وهذا هو مذهب جمهور العلماء، وبناء على هذا لا تجب عليه إعادة، هو شك في صلاته لكن لا تجب عليه إعادة، لأنه لم يتعمد فعل شيء من ذلك، فشكه لا يؤثر على صلاته، وإنما يجبره في السجود كما بين النبي صلى الله عليه وسلم.

٤- أن الشك هنا عند الفقهاء هو ما دون اليقين، فيشمل: ١. الظن الذي هو تجويز أمرين أحدهما أضعف من الآخر، ويشمل ٢. الشك الذي يكون مستوي الطرفين، هذا كله شك عند الفقهاء يجب فيه البناء على اليقين، لأن الذمة مشغولة بأداء الواجب فلا تبرأ إلا بيقين.

إذاً عندنا هنا حديثان فعل، وقول في السهو، فالحديث الأول من هذين الحديثين هو فعل للنبي صلى الله عليه وسلم، سلم من صلاة رباعية بعد ما صلى ركعتين يعني قبل تمام الصلاة.

والحديث الثاني قول النبي صلى الله عليه وسلم في الشك "إذا شك أحدكم"، في الحديث الأول في فعل النبي صلى الله عليه وسلم: النبي صلى الله عليه وسلم لما تيقن أنه نسي في صلاته قام فأتى بالركعتين الأخريين ثم التشهد ثم سلم، ثم عاد فكبر وسجد سجدتين للسهو ثم سلم مرة ثانية.

فإذاً كان السجود للسهو في فعل النبي صلى الله عليه وسلم بعد السلام، وهنا في الشك إنما كان قبل السلام. والمسألة فيها اختلاف طويل بين العلماء في الشك: إذا شك فتبين له، إذا شك لم يتبين له، لكن المختصر في هذا أن الإنسان إذا شك في صلاته فلم يدر هل صلى ثلاثاً أم أربعاً؟ بنى على اليقين وأتم صلاته بناء على ذلك وسجد قبل أن يسلم. أما إذا تبين له شك في صلاته ثم تبين له بعد ذلك فهو على ما تبين، وسجوده بعد التسليم. وأما فعل النبي صلى الله عليه وسلم فهو لنقص في الصلاة.

أخذ العلماء من ذلك أن سلام النبي صلى الله عليه وسلم، هو سلم عن نقص في الظاهر، يعني من الصلاة الرباعية سلم من ركعتين، لكنه جاء في الصلاة بزيادة وهو التسليم، سلم النبي صلى الله عليه وسلم وتكلم في مصلحة الصلاة والسؤال عنها، أتى بكلام زائد هنا، التسليم زائد بحد ذاته فهو زيادة وإن كانت الصورة صورة نقص، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم بالسجدتين للسهو بعد السلام، فإذا كان السهو لنقص في الصلاة كان السجود قبل السلام كما لو ترك واجباً، طبعاً تركه كان سهواً لا عمداء، فيسجد قبل السلام، مثلاً لو قام عن التشهد الأول ثم تذكر بعد ذلك وأتم صلاته قبل أن يسلم يسجد سجدتين.

وأما إذا كان لزيادة كما في فعل النبي صلى الله عليه وسلم زاد تسليمين هنا وخروجاً من الصلاة فيكون ذلك بعد السلام.

هذا ملخص مواطن السجود في السهو:

ما كان من زيادة في الصلاة فسجودها بعد التسليم.

وما كان نقصاً في الصلاة فسجوده قبل التسليم.

ما كان من شك وبنى على اليقين في ذلك ولم يتبين له سجد قبل السلام.

وإذا كان تبين له سجد بعد السلام، فهذه مجمل الأقوال في هذه المسألة.